رهائن الصرعات الداخلية في عصري الخلافة وملوك الطوائف (٣١٦-٤٧٩ هـ/ ٩٢٨- ١٠٨٦م)

الرهائن السياسيون في عصر الخلافة (٣١٦-٤٢٢ هـ/ ٩٢٨- ١٠٣٠م)

بدأ عصر الخلافة الأموية في الأندلس أواخر سنة(٣١٦هـ/٩٢٨م)[١] وإعلان عبد الرحمن الناصر الخلافة يأتي تلبية لما تمليه المصالح الداخلية والخارجية، ومن أهمها تأكيد قوة الأندلس، وخاصة بعد أن ضعفت مكانة الأمير الأموي في قرطبة نتيجة للثورات والفتن الداخلية، فأصبحت الحاجة ماسة إلى رفع مكانته السياسية والدنية وخاصة بعد أن أصبح لقب (أمير) لقباً مبتذلاً تلقب به معظم العصاة والخارجون عن سلطة الإمارة الأموية، بالإضافة إلى أن الوحدة السياسية في الأندلس قطعت شوطاً كبيراً بعد ستة عشر عاماً من النضال الذي توج بالانتصار على عمر ابن حفصون[٢] بالإضافة إلى ضعف الخلافة العباسية في المشرق وقيام الخلافة الفاطمية في المغرب[٣] وعبد الرحمن الناصر هو أول من تسمي من بني أمية بالأندلس

(١) في هذه السنة رأي الناصر أن تكون الدعوة له والمخاطبات له في جميع ما يجري ذكرة فيه، بأمير المؤمنين فعهد إلى القاضي أحمد ين بقي، صاحب الصلاة بقرطبة بأن تكون الخطبة يوم الجمعة مستهل ذي الحجة بذلك فيقول: (الحمد الله ولى النعمة والانعام بما انعم به، وأهل الفضل بما تفضل علينا " وقد راينا أن تكون الدعوة لنا بأمير المؤمنين وخروج الكتب عنا ووردها علينا بذلك أذ كل مدعو بهذا الاسم غيرنا منتحل له، ودخيل فيه وقسم بما لا يستحقه وعلمنا أن التمادي على ترك الواجب لنا من ذلك أضعناه واسم ثابت اسقطناه فامر الخطيب بموضعك أن يقول به وأجر مخاطبتك لنا عليه إن شاء الله والله المستعان). ابن عذارى: البيان ج٢، ص١٩٨، ١٩٩.

(٢) إبراهيم بيضون: الدولة العربية في إسبانيا، ص ٢٩٥؛ السامرائي وآخرون: تاريخ العرب، ص ١٥٧.

(٣) عبد الله عنان: دولة الإسلام، ج٢، ص٤٢٩، ٤٣٠.

بالخلافة[٤] واستمر لقب خليفة في ذرية عبد الرحمن الناصر بعده حتى سقوط الدولة الأموية (٤٢٢هـ/١٠٣٠م)[٥].

عبد الرحمن الناصر يستنزل الثوار رهائن في مدينة قرطبة

أصر الخليفة عبد الرحمن الناصر على استنزال المتمسكين بالخلاف عليه، فقرر الخروج لغزو مدن غرب الأندلس وبدأ في تعبئة قواته، وكان خروجه سنة (٣١٧هـ/٩٢٩م) وكان قد أرسل رسله إلى ثوار الغرب المتمسكين بالخلاف، وينصحهم بالتخلي عن عصيانهم ولوح لهم بإكرام الطائعين وأنذر المخالفين بالقتال، وللأسف لم يلق الناصر أي استجابة من هؤلاء الثوار وعلى رأسهم صاحب بطليوس عبد الرحمن بن عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن بن مروان الجليقي[٦] الذي تولى زعامة بطليوس بعد مقتل والده عبد الله في سنة (٣١١هـ/٩٢٣م)[٧].

نزلت جيوش قرطبة بقيادة الخليفة عبد الرحمن الناصر، وشارك في القيادة القائدان أحمد بن إسحاق القرشي[٨] وأخوه محمد في ساحة بطليوس في ربيع الآخر سنة (٣١٧هـ/ ٩٢٩م) فبرز

(٤) جدول يوضح أمراء وخافاء البيت الأموي في الأندلس، أنظر ملاحق الرسالة، ص ٢٢٥، ٢٢٦.
(٥) ابن حيان: المقتبس، ج٥، ص٢٤٢، ٢٤١؛ ابن عذارى: البيان المغرب ج٢، ص١٥٧.
(٦) ابن حيان: المقتبس, ج٥, ص٢٤٦. سحر عبد العزيز سالم: تاريخ بطليوس، ج١، ص٣٣١.
(٧) ابن حيان: المقتبس, ج٥, ص ١٨٨.
(٨) أحمد بن اسحاق القرشي: من نسل عبد الملك بن عمر المرواني، وهو من أقارب الخليفة عبد الرحمن الناصر وكان قائداً للفرسان، وعينه الخليفة عبد الرحمن الناصر حاكماً للثغر وعهد إليه بحصار مدينة سرقسطة ولكنه تهاون في الحصار وتواني لمرض في قلبه، ولأطماع كانت تجيش بها نفسه، فأنبه عبد الرحمن وعزله، فاتفق مع أخيه أمية على التآمر والخروج، فوقف عبد الرحمن على أمرهما واكتفي بنفيهما، فأتصل أحمد بن اسحاق بعمال الفاطميين في عدوة المغرب، وتآمر معهم على حكومة قرطبة، فسعي الخليفة عبد الرحمن إلى القبض عليه ثم أمر بإعدامه في الأندلس. مجهول: أخبار مجموعة، ص ١٢٨، ١٢٩؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج٧، ص ١٤٥. عبد الله عنان: دولة الإسلام، ج٢، ص ٤٠٨، ٤٠٩.

له صاحبها عبد الرحمن الثاني فأفحش في القول وأساء التصرف، وأخرج عدداً من فرسانه لمحاربة جيش الخلافة فانهزموا وولوا الأدبار، وتحصنوا بداخل مدينتهم وقد أصيبوا بالذعر وعلي أثر ذلك بدأ الخليفة عبد الرحمن الناصر في إحكام حصاره على المدينة وبادر رجاله بانتساف المزارع وإحراق الأشجار، وتدمير المرافق، وشدد الحصار عليهم، ووكل به القائد أحمد بن إسحاق القرشي ثم أتجه بقوة من رجاله إلى مدينة ماردة لتفقد أحوالها، وواصل القائد أحمد بن إسحاق حصاره لبطليوس ومقاتلة أهلها وكانت بينه وبينهم وقعة شديدة بددتهم قتلاً وذللتهم أسراً وأرسل منهم إلى باب السدة في قرطبة نيف وسبعين أسيراً من فرسانهم فضربت رقابهم, فانكسرت شوكتهم وانهارت مقاومتهم واستمر حصار بطليوس حتى بداية سنة (٣١٨هـ/٩٣٠م) فقد واصل عسكر الخليفة التضييق على أهل بطليوس وقطعوا عنهم الأقوات فأيقنوا بنهايتهم المحتومة، فاضطر عبد الرحمن بن عبد الله بن مروان الجليقي إلى طلب الأمان فأجابه السلطان إليه فأوسعه عفوه وأعطاه أمانه هو وأهله وذي الشوكة من رجاله, فأخذهم إلى قرطبة وأوسعهم من إحسانه(٩).

فنجد أن الخليفة عبد الرحمن الناصر نقل أسرة بني مروان الجليقي إلى مدينة قرطبة تحديداً ليكونوا تحت عينيه رهائن مراقباً لتحركاتهم وحتى لا يفكرون في استعادة ملك أسرتهم في مدينة بطليوس التي أنشأها جدهم عبد الرحمن بن مروان الجليقي، وبذلك يكون الخليفة عبد الرحمن الناصر قيد حركتهم وجعلها مقصورة على مدينة قرطبة.

وسار الخليفة عبد الرحمن الناصر إلى مدينة باجة، وفيها عبد الرحمن بن سعيد بن مالك أحد زعماء المولدين، وكان على الخلاف فنزل بساحة الخليفة عبد الرحمن الناصر في غره جمادي

(٩) ابن حيان: المقتبس, ج٥,ص٢٧١، ٢٧٢. سحر عبد العزيز سالم: تاريخ بطليوس، ج١، ص ٣٣٤، ٣٣٥.

الآخرة سنه(٣١٧هـ/٩٢٩م)، فدعاه الخليفة عبد الرحمن الناصر إلى الطاعة فلم يقبل عبد الرحمن بن سعيد فأعلن الناصر الحرب عليه ومنعوا الماء والميرة من مدينة باجة، حتى مس أهلها الجهد والعطش, فلما رأي أميرهم عبد الرحمن بن سعيد بن مالك حالهم طلب الرجوع إلى الطاعة, فأجابه الخليفة عبد الرحمن إلى مطلبه وأمّن إخوته وأهل بيته، ومن كان بداخل المدينة من رجاله، ونزلوا على حكمه وخرجوا جميعا إليه ودخلوه في معسكره ونقلهم إلى قرطبة وساروا في عداد حشمه(١٠).

فنجد أن حياة هؤلاء الثوار أصبحت مرهونة ببقائهم في مدينة قرطبة.

محمد بن هاشم التجيبي يقدم الرهائن للخليفة عبد الرحمن الناصر:

على الرغم من أنَّ الخليفة عبد الرحمن الناصر أعلن نفسه خليفة على الأندلس، إلا أن هناك بعض حركات التمرد والعصيان خاصة في الولايات الشمالية ومنها سرقسطة التي تولت الزعامة في عصر الخلافة الأموية أسرة بني تجيب فلم يكونوا على وفاق دائم مع حكومة قرطبة وكانت تحدوهم أطماع كثيرة، وكانوا يخشون عواقب السياسة التي كان يتبعها الناصر في إخضاع الولاة المحليين وسحق الأسر القديمة وكان وجودهم في الشمال بين الممالك النصرانية يفسح لهم مجال التآمر والخروج (١١).

(١٠) ابن حيان: المقتبس, ج٥, ص٢٤٧, ٢٤٨؛ ابن عذارى: البيان المغرب، ج٢، ص٢٠٠؛ عبد الله عنان: دولة الإســـلام ج٢، ص٣٩٠.
(١١) عنان دولة الإسلام، ج٢، ص٤٠٥.

وفي سنة(٣١٨هـ/٩٣٠م) توفي عامل سرقسطة [١٢] من قبل حكومة قرطبة وهو هاشم بن محمد عبد الرحمن التجيبي [١٣] فطلب ولده محمد بن هاشم لتجيبي إلى الناصر أن يقره على ولاية سرقسطة فلم يجبه الناصر إلى ذلك، فقدم محمد بن هاشم إلى قرطبة طالباً الولاية من الخليفة عبد الرحمن الناصر الذي أصدر الأمر بتوليته في رجب سنة (٣١٩هـ/٩٣١م) [١٤]، والتزم محمد بن هاشم التجيبي بدفع الجباية، ودام هذا الولاء نحو ثلاث سنواتٍ وأراد الناصر أن يختبر ولاء أهل سرقسطة وذلك بدعوتهم للمشاركة في غزواته ضد نصاري إسبانيا فقرر الخليفة عبد الرحمن الناصر أن يغزو أرضي النصارى سنة (٣٢٢ هـ/٩٣٣م)[١٥]، فبعث إلى أهل الثغور لموافاته فخرج إليه التجيبيون في رجالهم وتخلف محمد بن هاشم عنه، وتعرف هذه الغزوة بغزوة "وخشمه" (Osma) وكان محمد بن هاشم زعيم بني هاشم في سرقسطة يخفي أطماعا كثيرة، ويضمر الخروج على حكومة قرطبة ونجد انه لم يشارك مع الناصر في غزوته للنصارى حتى يتمكن من تحقيق مشاريعه وأطماعه فخرج الناصر بالطائفة من قرطبة في منتصف جمادي الأولي سنة (٣٢٢هـ/ ٩٣٣م) في جيش كثيف[١٦] واعتزم الناصر دخول أراضي النصارى عن طريق وادي الحجارة، وليضع حداً لما أبداه صاحب سرقسطة محمد بن هاشم التجيبي من تردد عن المشاركة معه في غزوته فاحتل الناصر "حصن ملوندة"[١٧] وهو

(١٢) ابن حيان: المقتبس ص ٥، ص٣٣٣؛ العذري: نصوص عن الاندلس، ص ٤٤.
(١٣) بعد وفاة محمد بن عبد الرحمن التجيبي سنة (٣١٦هـ/٩٢٤م) خلفه ولده هاشم على أمر سرقسطة وطلب هاشم من عبد الرحمن الناصر التسجيل له على سرقسطة ففذ ذلك له، والتزم هاشم الطاعة، كما اشترك في الغزو مع عبد الرحمن الناصر، فكانت ولاية هاشم لسرقسطة ايمن ولاية، وتوفي سنة (٣١٨هـ/٩٣٠م). العذري: نصوص عن الأندلس، ص٤٣.
(١٤) العذري: نصوص عن الأندلس، ص٤٤.
(١٥) في سنة (٣٢١ هـ/ ٩٣٣م) سار ملك ليون إلى مدينة اوسمة (وخشمة) التي كان يهددها المسلمون فردهم عنها واحلتها وكانت اوسمة حيث تقع شرقي شنت اشتين على مقربة من دويرة وعلى خط الحصون الفاصل بين الأراضي الاسلامية وقشتالة القديمة من القواعد الدفاعية المهمة. عبد الله عنان: دولة الإسلام، ج٢، ص٤٠١.
(١٦) ابن: حيان المقتبس ج ٥، ص ٣٣٣؛ العذري: نصوص عن الاندلس، ص ٤٤.
(١٧) حصن مُلْوَنده: بضم أوله وثانيه وسكون الواو والنون ودال مهملة حصن من حصون سرقسطة بالأندلس يتميز بالحصانة. ياقوت الحموي: معجم البلدان ج٥، ص ١٩٥.

من حصون محمد بن هاشم بعد مبادرة أهل هذا الحصن بالطاعة ثم تقدم إلى "حصن روطة"[١٨] (Ruede) وهو من حصونه أيضا وكان فيه أخوه يحيي بن هاشم فافتتحه قسرا[١٩] ثم سار الناصر إلى سرقسطة وطوقها ببعض قواته، ونصب المكايد حولها كما بعث قوات أخرى إلى تطليه(Tudela) وطرسونه للتضييق على أهل سرقسطة وبعد أن تمكن الناصر من حصار سرقسطة رأي أن يتحول بقواته إلى غزو أراضي النصارى[٢٠].

وفي العام التالي سنة (٣٢٣هـ/٩٣٤م) قام الناصر بغزو سرقسطة وناجز محمد بن هاشم التجيبي المنتزي بها وهو آخر من بقي من أهل الخلاف بأرض الأندلس وقد كان قواده الذين خلفهم مقيمين حولها متظاهرين على التضييق عليها ملازمين لمراتبهم من حصرها مجاهدين في حرب أهلها فاستعد لغزوها بنفسه في هذه السنة وتأهب وحشد عسكره وقد أكثر الشعراء في مدح الناصر لخروجه في هذه الغزوة [٢١].

قصد الناصر مدينة سرقسطة وتمادي في حصارها وأمر بتشييد المباني العالية والرفيعة في خارج المدينة، ليكون مطلعا على من داخلها يمشي ماش في أزقتها، ولا يخرج خارجاً من أبوابها إلا والعين تأخذه واللسان يصف هيئته كما شدد الناصر أيضا الحصار على أهل سرقسطة، وذلك عندما قطع عنها المرافق فبالغ في ذلك وأشرف علية بنفسه، فما كان من أهل سرقسطة إلا أنهم صبروا صبرا عظيما كذلك استطاع قواده أن يفتحوا بعض حصون سرقسطة[٢٢] ومنها

(١٨) حصن رُؤطة: بضم أوله وسكون ثانيه وطاء مهملة حصن من أعمال سرقسطة بالأندلس موصوف بالحصانة ويقع على شاطئ البحر المتوسط. ياقوت الحموي: معجم البلدان ج٣، ص ٩٦. الحميري: الروض المعطار، ص٣٤٠.

(١٩) ابن حيان المقتبس، ج٥، ص ٣٤٤، ٣٣٥؛ العذري نصوص عن الاندلس، ص ٤٤.

(٢٠) ابن حيان: المقتبس، ج٥، ص ٣٣٥.

(٢١) كان من بينهم أحمد بن عبد ربه الذي مدحه بقوله:
فصول نظير اليمن والمواكب السعد وبالنصر والتأييد في القرب والبعد
وحزم به ينضم منصدع الدجي وعزم كحد السيف يفري بلا حد. ابن حيان: المقتبس، ج٥، ص ٣٥٧، ٣٥٨.

(٢٢) ابن حيان: المقتبس، ج٥، ص ٣٥٩.

(حصن ورشة)[٢٣] الذي كان فيه أخو محمد بن هاشم (إبراهيم بن هاشم)، فنازله القائد محمد بن سعيد بن منذر القرشي وضيق علية واستطاع هذا القائد أن يفتح حصن ورشة عنوة[٢٤] واستمر الحصار والتضييق على سرقسطة أربعة أشهر، وبعدها رجع الناصر إلى قرطبة تاركا لحصارها القائد أحمد بن إسحاق القرشي ثم أردفه بالوزير عبد الحميد بن بسيل[٢٥] ترافقه بعض قوات الناصر[٢٦].

وفي نفس سنة(٣٢٣هـ/٩٣٤م) عقد الناصر السلم مع راميرو الثاني [٢٧]، أو رزمير كما تسمية الرواية العربية [٢٨] وبعد تردد رسل رذمير ملك ليون إلى الناصر في طلب الصلح [٢٩] أرسل الناصر إليه الوزير يحيي بن إسحاق [٣٠] فاجتمع معه وعقد معه شروط الصلح وكان الناصر يرمي من هذا الصلح إبعاد رذمير عن التفاهم مع محمد بن هاشم صاحب سرقسطة ومعونته،

(٢٣) حصن وَرْشة: ورشة بالفتح ثم السكون وشين معجمة وهاء حصن من أعمال سرقسطة في غاية الحصانة والمكانة. ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج٥، ص ٣٧٢.

(٢٤) ابن حيان: المقتبس، ج٥، ص٣٦١.

(٢٥) عبد الحميد بن بسيل: هو عبد الحميد بن بسيل بن عبد الواحد بن عبد السلام بن بسيل الرومي أحد أفراد أسرة بنو بسيل التي تعتبر من أكبر بيوتات الموالي الأمويين في الأندلس استوزره الخليفة عبد الرحمن الناصر وجعله على خزانة المال. القضاعي: التكملة لكتاب الصلة، ج٣، ص١٣٥؛ ابن حيان: المقتبس، تحقيق محمود مكي، ص ٢٤٢، ٢٤٣؛ ابن عذارى: البيان المغرب، ج٢، ص ١٨٥.

(٢٦) ابن حيان: المقتبس، ج٥، ٣٦٥؛ العذرى: نصوص عند الاندلس، ص ٤٥.

(٢٧) راميرو الثاني: تمكن من الاستيلاء على عرش ليون سنة (٣٢٠ هـ/٩٣٢م) وذلك بعد الحرب الأهلية التي حدثت في ليون بعد وفاة ملكها أردونيو الثاني سنة (٩٢٥م)، فخلفه في الملك أخوه "فرويلا"، فلم يحكم سوي عام ثم توفي؛ فتنازع العرش سانشو وألفونسو ولدا أردونيو، وشغلت ليون بحرب أهلية استمرت بضعة أعوام، وانتهي طورها الأول بوفاة سانشو. ثم نشبت ثانية بين ألفونسو وأخيه راميرو، وانتهت بفوز راميرو، وجلوسه على عرش ليون باسم راميرو الثاني، وعرف بعدائه الشديد للسلمين في الأندلس وهجماته المستمرة عليها. عبد الله عنان: دولة الإسلام، ج٢، ص ٤٠٠؛ السامرائي وآخرون: تاريخ العرب وحضارتهم في الأندلس، ص ١٦٧.

(٢٨) ابن خلدون: تاريخه، ج٤، ص ١٨٢؛ المقري: نفح الطيب، ج١، ص ٣٥٥.

(٢٩) ابن حيان: المقتبس، ج٥، ص٣٤٠-٣٤٢.

(٣٠) يحيي بن إسحاق: هو يحيي بن إسحاق الطبيب الأندلسي أحد وزراء الخليفة عبد الرحمن الناصر، وكان إسحاق أبو يحيي نصرانياً طبيباً صانعاً بيده مشهوراً في أيام الأمير عبد الله وكان يحيي هذا ولده بصيراً زكياً في العلاج واستوزره الخليفة عبد الرحمن الناصر وولاه الولايات الجليلة بعد إسلامه.. ابن أبي أصيبعة: عيون الأنباء في طبقات الأطباء تحقيق نزار رضا، دار الحياة، بيروت ١٩٦٥، ص ٤٨٨، ٤٨٩؛ الزركلي: الأعلام، ج٨، ص ١٣٧.

فلم يدم هذا الصلح طويلا فسرعان ما نكث رزمير وعاد للتحالف مع محمد بن هاشم ضد حكومة قرطبة [٣١] سنة(٣٢٤هـ/٩٣٥م) مقابل اعتراف محمد بن هاشم بطاعته [٣٢].

وفي نفس السنة أرسل الخليفة عبد الرحمن الناصر الوزير عبد الحميد بن بسيل في جيش كثيف إلى سرقسطة للتضييق عليها، وليدعم القوات المحاصرة لها، وأتبعه بجيش بقيادة الوزير سعيد بن المنذر القرشي[٣٣]، وخرج إليهم الناصر في جيش ضخم سنة (٣٢٥هـ/٩٣٦م)، وعلم الناصر في أثناء خروجه لسرقسطة أن النصارى الذين احتشدوا لمناصرة محمد بن هاشم يحاولون الزحف نحو مدينة طليطلة لإثارة الثورة فيها، فتوجه الناصر لمدينة طليطلة ليأمن أهلها ويرهب النصارى الذين فروا مذعورين إلى الشمال عندما علموا بوجوده في طليطلة، وأبقي الناصر قوة من جيشه بطليطلة وتوجه لمدينة سرقسطة، وبدأ بقلعة أيوب حيث كان فيها الثائر مطرف بن منذر التجيبي المعروف بأبي شويرب الذي استعان بالنصارى، فأرسل إليه رزمير فرقة من فرسان ألبة والقلاع لإنجاده فغضب الخليفة عبد الرحمن الناصر وأرسل إليه يدعوه إلى الطاعة ويؤكد له الأمان فرفض مطرف الدعوة واغتر بمن معه من النصارى فهاجم الناصر القلعة ونجح في قتل مطرف[٣٤] ونجا أخوه حكم بن منذر، وجميع رجال بني تجيب وفرسان ألبة والقلاع إلى القصبة، وكثر القتل في المدافعين عنها فأضطر منذر أن يطلب الأمان له ولحفائه النصارى وتم فتح قلعة أيوب في التاسع عشر من شهر رمضان سنة (٣٢٥هـ/٩٣٦م) وكان

(٣١) ابن حيان: المقتبس،ج٥، ص ٣٦٥؛ عبدالله عنان: دولة الإسلام، ج٢، ص ٤٠٥.
(٣٢) ابن حيان: المقتبس،ج٥، ص ٣٧٩.
(٣٣) سعيد بن المنذر القرشي: هو سعيد بن المنذر بم معاوية بن أبان بن يحيي بن عبيد الله بن أبان بن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان الأموي، كان يتولي إشبيلية في بداية عهد الخليفة الناصر، ثم قلده الوزارة بعد ذلك وكان من قادة الجيوش المشهورين. ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، ص ٤٩٤؛ ابن سعيد المغربى: المغرب في حلي المغرب، ج١، ص ١٨٣.
(٣٤) ابن حيان: المقتبس،ج٥، ص٣٩٤ - ٣٩٦؛ عبد الله عنان: دولة الإسلام، ج٢، ص ٤٠٧، ٤٠٨.

فتح قلعة أيوب أول صدع خطير في ثورة بني تجيب حيث قتل فيها العديد من فرسان سرقسطة وأكابرها وخمسمائة من الفرسان النصارى ولم ينج منهم سوي الخمسين الذين أمنوا(٣٥).

عهد الخليفة عبد الرحمن الناصر إلى قائده أحمد بن إسحاق القرشي بحصار سرقسطة وعينة حاكما للثغر ولكنه تهاون في الحصار فنفاه الخليفة عبد الرحمن الناصر من الأندلس(٣٦) واستمر حصار سرقسطة عدة أشهر والناصر يضيق الحصار بشكل أقوي حتى اضطر محمد بن هاشم أن يبعث رسالة في طلب الأمان والصلح، ويروي لنا ابن حيان في كتابه المقتبس ذلك فيقول: " لما مس آل تجيب الضر واشتد عليهم الأمر ورأوا من مساكنه السلطان عليهم في عقر دراهم وإشرافه عليهم في أفنيتهم ما ضاقوا به ذرعا وخانهم صبرهم واستفتحوا باب المراسلة وطلبوا الأمان فأبدي الناصر قبوله وتسامحه وطلب أن يخرج إليه إخوة محمد بن هاشم وكبار الشخصيات في سرقسطة لعقد الصلح فخرج إليه رجال سرقسطة ومن بينهم إخوة محمد يحيي وعبد الرحمن وهذيل فقبض الناصر على تلك الصفوة المختارة من سرقسطة وحبسهم داخل سرداقه(٣٧) فلما علم محمد بن هاشم بتلك الضربة القاسية التي حرمته من كبار معاونيه ظل ممتنعا ورسل الناصر تترد إليه بالإنذار وأخيراً بعث الناصر إليه بوزيره جهور بن عبد الملك بن أبي عبده فاطمأن محمد بن هاشم إليه وأذعن إلى التوبة وطلب الأمان والصلح وكان ذلك خلال عيد الأضحى سنة (٣٢٥هـ/٩٣٦م)(٣٨) فاستجاب الناصر لطلب محمد بن هاشم وعقد له الأمان(٣٩) بأوثق عقد وشهد على ذلك الشهود من أهل العسكر أهل الثغور وكان ذلك في شهر محرم سنة

(٣٥) ابن حيان: المقتبس،ج٥، ص ٣٩٩؛ عبد الله عنان: دولة الإسلام، ج٢، ص ٤٠٨.
(٣٦) مجهول: اخبار مجموعة، ص ١٢٨، ١٢٩؛ ابن خلدون: تاريخه، ج٤، ص ١٧٩.

(٣٧) ابن حيان: المقتبس، ج٥، ص ٤٠٣.
(٣٨) ابن حيان: المقتبس، ج٥، ص ٤٠٤. عبد الله عنان: دولة الإسلام، ص ٤١٠.
(٣٩) نص وثيقة الأمان لسرقسطة في انظر ملاحق الرسالة، ص ٣١٧، ٣١٨.

(٣٢٦هـ/٩٣٧م)(٤٠)، وأشترط الخليفة عبد الرحمن الناصر عليه إن يتخذ منه رهائن ضماناً لطاعته، وهذا ما اشتملت عليه الوثيقة والتي نصت على:

" أن يرهن عن نفسه وما عهد عليه من الوفاء بشروطه أسن ولده وأخاه هذيلا من بين إخوته وأسن ولد " معن بن محمد " صاحبه، وأحد ولدي قاسم، وولد كاتبه ابن العاصي، ويكون جماعتهم لدي الناصر بدين الله بحال حفظ وتكرمه، وبسبيل أمان في المسير والمقام، يبدلهم، إن شاء، ستة أشهر بأكفائهم ونظرائهم من إخوتهم خاصة إلى أن يظهر لأمير المؤمنين براءة محمد بن هاشم من ممالأة المشركين وتصحيحه طاعة أمير المؤمنين، فيأتي من إعفائه من ذلك مما يراه، وعلي أن يقطع محمد بن ها شم حبله من المشركين في ظاهره وباطنه من حد بلد برشلونة إلى سرطانية إلى بنبلونة إلى ألبه إلى القلاع، وإلى جليقية، ولا يكاتبهم ولا يداخلهم، ولا ينبذ إليهم نبذ أمير المؤمنين، ويدخل السرايا إلى بلدهم، ولا يصالحهم على طرف من أطراف الثغر إلا عن إذن أمير المؤمنين وترداد مشورته، وأن يورد جباية بلده بحملها، ولا يحتبسها عن أمدها، ولا ينقصها من عددها، بعد أن يسقط عنه جباية عام محرم، لما ناله ونال البسيط من معرة الجيش وامتناع التوزيع، ثم يوردها من بعد انصرام العام، كاملة موفرة بغير رسول يحركه ولا موكل يضغطه، حاشي الكاتب إليه، إن كان عاملا أو إلى ابنه، إن رأي أمير المؤمنين استعماله، وألا يتقبل حرا نازعا ولا عبدا أبقا لأمير المؤمنين، ولا لأحد من رعيته، وأن يوثق من ظفر به من هذه الطبقة، ويصرفه إلى مكانه ولا يتعقب أحدا ممن سجل له عليه، أو يسجل بعد ممن حاربه مع أمير المؤمنين، وفارقه إليه أيام الطاعة له أيام معصيته، وأن يجدد البيعة لأمير المؤمنين ويلتزم شروطها، ويخلص الطاعة له، ويوفي حقوقها، وأن

(٤٠) ابن حيان: المقتبس، ج٥، ص ٤٠٤.

يغزو مع أمير المؤمنين، ويعادي من عاداه ويحارب من حاربه ويسالم من سالمه من أهل الملك وغيرهم ويقطع نصيبه من كل من أخرج يده عن طاعته وإن كان ابنه أو آخاه، ويلتزم كل ما ألزمه أمير المؤمنين من ظاهر القول وباطن الإرادة، لا ينقص متأول البغية ولا يحرف عن التصحيح بالعلة، فقد ألتزم أمير المؤمنين في عقده مثل ما سأله محمد من ذلك وأوجبه على نفسه له، مع دركه لهذه المنزلة من صدق الطاعة أن يوليه مدينة سرقسطة وما وقع له في سجله معها ولاية مستمرة ولا يعزل طول أيامه عنها، ثم لا يؤاخذه بذنب ولا يعدد عليه اقتراف خطا ولا عمد ولا يقبل في مقالة كاشح ولا طعن حاسد، ويصير ذلك له وصية فيمن بعده، يلزمهم الوقوف عندها على سبيل الخلفاء في خالدات عهودهم إن شاء الله" (٤١)

.

ووقعت الأيمان في هذا الأمان من الناصر لدين الله مستوفاة مغلظة، أخذ على محمد بن هاشم أشد منها، فحلف في مقطع الحق بمسجد سرقسطة الجامع خمسين يميناً منسوقة بمحضر قاضي الجماعة بقرطبة والفقهاء وأعلام العسكر والملأ من أهل بيت محمد بن هاشم ووجوه أهل الثغر، على التزام ما عقد على نفسه منه واعتداده إياه ديانته ". ثم أشهد الناصر لدين الله على نفسه فيه جميع أهل عسكره، فكان أول من شهد عليه أولاده الحاضرون، ثم أعمامه ثم الوزراء وأصحاب الخطط ثم الفقهاء ثم وجوه أهل سرقسطة ومن حضر من أهل الثغر (٤٢)

نجد أن الخليفة عبد الرحمن الناصر اتخذ من محمد بن هاشم خمسة رهائن وهم ابنه وأخاه وأكبر أبناء معن بن محمد صاحبه، وأحد ولدي قاسم، وولد كاتبه ابن العاصي.

(٤١) ابن حيان: المقتبس، ج٥، ص٤٠٦، ٤٠٧.
(٤٢) ابن حيان: المقتبس، ج٥، ص٤٠٧، ٤٠٨.

ونستدل كذلك من خلال النص السابق أن هؤلاء الرهائن مؤمنون من قبل الخليفة عبد الرحمن الناصر وأنهم في حال حفظ وتكرمه، وأنه سوف يتم إبدالهم بعد ستة أشهر بخمسة رهائن آخرين يكونون على أقدارهم، أي أحد ابناء محمد بن هاشم وأبناء إخوته وكبار رجال دولته، وأن الخليفة عبد الرحمن الناصر سوف يطلق سراح هؤلاء الرهائن عندما يتأكد من حسن طاعة محمد بن هاشم.

ورغم فداحة جرم محمد بن هاشم إلا أن الخليفة عبد الرحمن قد عفا عنه ومنحه الأمان، ويرجع ذلك إلى ما كان يتمتع به محمد بن هاشم من مقدرة إدارية فائقة، ولما كان لبني هاشم في الشمال من مركز قوي مؤثر لما لهم من العصبة والأنصار، بالإضافة إلى أن الخليفة عبد الرحمن الناصر عفا عن العديد من الثوار العتاة وأحسن إليهم، وضمهم في جيشه، وقد كانت هذه سياسة مستنيرة من الخليفة عبد الرحمن الناصر للاستفادة من هذه العناصر المنحرفة القوية متي صدقت توبتها وحسن ولائها (٤٣).

دخل الناصر سرقسطة بعد أن أسلمها إليه محمد بن هاشم وكان ذلك في الرابع عشر محرم سنة (٣٢٦هـ/٩٣٧م)، ورأي الخليفة عبد الرحمن الناصر حصانه أسوار سرقسطة فأمر بهدمها حتى لا تشجع الخارجين على الثورة ودعم الحصون برجاله ونظر في مصالحها وأمن أهلها(٤٤).

(٤٣) عبد الله عنان: دولة الإسلام، ص ٤١٢.
(٤٤) ابن حيان: المقتبس، ج٥، ص٤١٩؛ العذرى: نصوص عن الاندلس، ص ٤٥.

أثر اتخاذ الرهائن على مجري الأحداث السياسية:

لقد أثر اتخاذ الرهائن تأثيرا مباشرا على الأحداث السياسية في الأندلس وأثر في ميزان القوة العسكرية لصالح الخلافة الأموية، حيث أصبح محمد بن هاشم يتفانى في سبيل إرضاء الخليفة عبد الرحمن الناصر، موالياً للخلافة الأموية معادياً لنصاري الشمال، وهذا ما سوف يظهره سير الحوادث التاريخية.

وفي أثناء مقام الخليفة عبد الرحمن الناصر في سرقسطة، أحب أن يختم غزوته بجهاد نصاري بنبلونة فبعث حملة أقوامها أربعة الأف من الفرسان المختارين بقيادة نجدة بن حسين الصقلبي مولاه وأمر محمد بن هاشم أن يرافقه في أصحابه حتى يبرهنوا على حسن ولائهم، ويثبتوا قطع صلتهم بالنصارى فسار نجدة بن حسين في اليوم السابع والعشرين من محرم سنة(٣٢٦هـ/٩٣٧م) وانضم إليه في اليوم التالي محمد بن هاشم واتجها صوب حصن شنت اشتبين[٤٥] وكان النصر فيها حليفا للمسلمين، وعادوا مثقلين بالغنائم إلى سرقسطة[٤٦] وبذلك اختبر الخليفة عبد الرحمن الناصر ولاء محمد بن هاشم وأنه قطع صلته بالنصارى فغادر سرقسطة في الرابع عشر من شهر صفر فكان وصوله لقرطبة في الثالث عشر من ربيع الأول من سنة (٣٢٦هـ/٩٣٧م), بعد غياب دام عنها ثمانية أشهر[٤٧].

(٤٥) حصن شنت اشتبين: (قاشترمورش) أحد أهم الحصون التي أقامته دولة ليون على نهر التاجُه. عبد الله عنان: دولة الإسلام، ج٢، ص ٣٩٤؛ السامرائي وآخرون: تاريخ العرب وحضارتهم في الأندلس، ص ١٦٥.
(٤٦) ابن حيان: المقتبس، ج٥، ص ٤٢٠.
(٤٧) ابن حيان: المقتبس،ج٥، ص٤٢٢، ٤٢٣؛ العذرى: نصـــوص عن الاندلس، ص٤٦؛ عبد الله عنان: دولة الإســـلام، ج٢، ص٤١٣.

وبدأ محمد بن هاشم التجيبي في تنفيذ شروط العهد الذي اتخذه عليه الخليفة عبد الرحمن فوفد على قرطبة فأكرمه الناصر تكريما عظيما وأقام في كنفه مدة في رغد وإيثار وكان يحضر مجالس الخليفة [٤٨] ثم غادر قرطبة في شهر رجب من نفس سنة (٣٢٦هـ/٩٣٧م) بعد أن ولاه الناصر سرقسطة وعقد له عليها وعلى الجهات التابعة لها

وولاه في نفس الوقت القيادة وبذلك رجع إلى مكانته السابقة [٤٩] وهكذا أصبحت سرقسطة ولاية تابعة للخليفة بعد أن كانت محل أخطر الثورات التي واجهها الناصر لأنها أضحت مركزا لتجمع القوي المعادية لخلافة قرطبة وبانتهاء ثورة سرقسطة انتهت تلك الثورات التي اجتاحت الأندلس في مطلع القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي وكان للخليفة عبد الرحمن الناصر الدور الأساسي في توحيد الأندلس والقضاء على تفرقها [٥٠].

استمر محمد بن هاشم موالياً للخليفة الناصر حيث خرج الخليفة عبد الرحمن الناصر سنة (٣٢٧هـ/٩٣٨م) لمقاتلة رذمير ملك ليون[٥١] بحملته المعروفة بغزوة الخندق (alhandiga) ولأهمية هذه الغزوة أطلق عليها "غزاة القدرة"[٥٢] فحشد لها جيشا ضخماً وبعث كتبة إلى الثغور واستكثر من الآلات والسلاح، وكان لمحمد بن هاشم التجيبي دور كبير في هذه الغزوة حيث تمكن من إظهار قوته وصدق طاعته حيث تقدم في نفس الوقت الذي بدأت فيه المعركة بقواته فعبر نهر شنت مانكش المعروف بشورقة "pisuerga"والتقي بالعدو وراء النهر

(٤٨) ابن حيان: المقتبس، ج٥، ص ٤٢٣، ٤٢٤، ويخالف العذري قول بن حيان حيث يذكر أن محمد بن هاشم التجيبي قدم مع الخليفة الناصر إلى قرطبة العذرى: نصوص عن الاندلس، ص٤٦.

(٤٩) ابن حيان: المقتبس، ج٥، ٤٢٤؛ العذرى: نصوص عن الاندلس، ص٤٦.

(٥٠) ويقول ابن حيان في ذلك (عن الناصر صير الاندلس جميعا في قبضة واقتلع أمر النفاق بأسرة فلم يبق له بعد محمد بن هاشم ناكب عن الطاعة فأصبح يذود اهلها طردا بعصاه ويمضي فيهم حكمة، ووجب عند ذلك فقوله إلى حضرته واستواه على أريكية لما استوي له ملك الاندلس معا) ابن حيان: المقتبس، ج٥، ص ٤٢٢.

(٥١) ابن حيان: المقتبس، ج٥، ص ٤٣٢؛ العذرى: نصوص عن الاندلس، ص٤٦.

(٥٢) مؤلف مجهول: اخبار مجموعة, ص١٢٨.

حيث اشتدت بينهم الحرب, ونجح محمد في الضغط على قوات العدو فانسحبت إلى المدينة ولجأت إلى قصبة المدينة واقتحم محمد بن هاشم مدينتهم, وعاد النصارى فاجتمعوا وخرجوا من القصبة ودارت بينهم حرب صعبة سقط خلالها محمد بن هاشم عن فرسه ووقع أسيرا عند النصارى(٥٣) وهزم المسلمون في هذه المعركة هزيمة شديدة على باب شنت مانكش, وقتل منهم كثير وارتدوا في تراجعهم إلى خندق عميق وهو الذي تنسب إليه الموقعة وتقدم الناصر بقواته واحتل بهم أعلي نهر بشورقة وعجز النصارى عنه ولبث هناك يومه وقد ساد الخلل في الجيش، وأيقن الناصر بتحميص الله للمسلمين ثم رحل قافلا حتى وصل مدينة وادي الحجارة ثم سار إلى قرطبة(٥٤).

وبقي محمد بن هاشم أسيرا لدي النصارى أكثر من عامين، حيث وقع في أسر رذمير ملك ليون، وكان ذلك في غزوة الخندق وبذل الخليفة عبد الرحمن الناصر جهده لفك أسر محمد بن هاشم، ففي سنة (٣٢٩هـ/٩٤٠م)، لجأ الخليفة عبد الرحمن الناصر إلى إبرام السلم مع رذمير لفك أسر محمد بن هاشم وتولي إبرام السلم حسداي بن إسحاق الكاتب(٥٥) وفي شهر صفر من سنة (٣٣٠هـ/٩٤١م) وصل محمد بن هاشم التجيبي إلى قرطبة بعد إطلاق سراحه حيث مكث في الأسر عامين وثلاثة أشهر، فسر الخليفة عبد الرحمن الناصر بإخلاصه كثيرا، ورفع منزلته وولاه الوزارة، وأخرجه قائداً على الثغر الأعلى كله(٥٦) وبعد عودة محمد بن هاشم قام بدور كبير في التصدي لنصاري الشمال، عدد ما نقض غرسية بن شانجة صاحب بنبلونه

(٥٣) ابن حيان: المقتبس، ج٥, ص٤٣٥،٤٣٤.
(٥٤) ابن حيان: المقتبس، ج٥, ص٤٣٦، ٤٣٧؛ المقري: نفح الطيب، ج١، ص ٣٦٣.
(٥٥) ابن حيان: المقتبس، ج٥، ص ٤٦٦، ٤٦٧.
(٥٦) ابن حيان: المقتبس، ج٥، ص ٤٧٤؛ ابن خلدون: تاريخه، ج٤، ص ١٨٠.

معاهدة الصلح[٥٧]، واستمر محمد بن هاشم التجيبي واليا وقائدا بالثغر الأعلى إلى أن توفي شهر محرم سنة (٣٨٨هـ/٩٤٩م)، فخلفه ابنه يحيي بن محمد بن هاشم على سرقسطة وإعمالها [٥٨] وفي سنة (٣٤٠هـ/٩٥١م) وكانت للمسلمين فتوحات في أراضي النصارى وشارك التجيبيون في ذلك، وكان منها فتح على يد يحيي بن هاشم التجيبي[٥٩] ومنذ أواخر فترة حكم الناصر التي انتهت في سنة (٣٥٠هـ/٩٦١م)، وخلال فترة ابنه الحكم المستنصر بالله (٣٥٠-٣٦٣هـ/٩٦١-٩٧٦م) سعت الخلافة إلى العناية أكثر بشئون الثغر الأعلى، فوثقت صلتها بالتجيبيين وأشركتهم في حملاتها العسكرية ضد نصاري الشمال، وقد أدي التجيبيون دورا بارزا في ذلك، فقام يحيي بن محمد التجيبي والي سرقسطة بمهاجمة أرضي النصارى، واشترك مع القائد أحمد بن على في حملة قرطبة إلى ثغر يرشلونه، كما سار مع القائد غالب إلى ألبه والقلاع سنة (٣٥٤هـ/٩٦٥م) [٦٠] حيث تمكن من احتلال حصن غرماج (Gormmaz)[٦١].

ونستنتج مما سبق أن السياسة التي اتبعها الخليفة عبد الرحمن الناصر مع أسرة بنو تجيب آتت أكلها حيث أنه استألف قلوبهم فأصبحوا من أشد المدافعين عن سيادة الخلافة الأموية، وخاصة بعد أن ساعدهم موقع مدينة سرقسطة في الشمال وبعده عن مركز الخلافة ومجاورتها للنصارى إلى العصيان والتحالف مع القوي النصرانية، وفي سبيل مواجهة هذه التحديات اتخذ الخليفة عبد الرحمن الناصر رهائن من محمد بن هاشم.

(٥٧) ابن حيان: المقتبس، ج٥، ص٤٨٠، ١٨١.
(٥٨) العذري: نصوص عن الاندلس، ص ٤٧.
(٥٩) ابن عذاري: البيان المغرب،ج٢، ص ٢١٧.
(٦٠) ابن خلدون: تاريخه، ج٤، ص ٤١٨٦ المقري: نفح الطيب ج١، ص ٣٧٣.
(٦١) غرماج: يقع حصن على نهر دويرة على مقربة من شنت إشتبين، وكان الناصر قد انتزعها من النصارى سنة (٣٢٩ هـ ٩٤٠م). عبد الله عنان: دولة الإسلام، ج٢، ص ٤٨٧.

موسي بن محمد بن عبد الملك الطويل يقدم الرهائن:

لم يبقِ من زعماء المولدين على مسرح الحوادث في الثغر الأعلى إلا بعض أفراد من بني شبريط (بني الطويل)، وتولوا حكم بعض المناطق والحصون، وفقدوا الكثير من نفوذهم والتزموا الطاعة للخليفة عبد الرحمن الناصر، وخرج فرتون بن محمد بن عبد الملك مع الخليفة عبد الرحمن الناصر في غزوة الخندق سنة (٣٢٧هـ/٩٣٨م) ولكنه كان من الجند الذين جروا الهزيمة على الخليفة عبد الرحمن الناصر، وأثر الهروب فأرسل الخليفة عبد الرحمن الناصر في أثره من فقبض عليه بناحية قلعة أيوب، فقطع الخليفة عبد الرحمن الناصر لسانه وصلبه عند باب القصر(٦٢).

فقدم موسي بن محمد بن عبد الملك الطويل إلى قرطبة مظهراً الطاعة سنة (٣٢٨هـ/٩٣٩م) مستألفًا للخليفة عبد الرحمن الناصر وذلك عندما قام الخليفة بصلب أخيه (فرتون) بقرطبة بجريرة يوم الخندق، فاضطربت حاله فأمنه الخليفة عبد الرحمن الناصر بأمان عقده له فرفق به عبد الملك، فقدم على الخليفة فأكرمه الذي أكرمه وعرف له حق مراجعته وجدد له السجل على مدينة وشقة وذلك بعد أن حلف خمسين يمينا، وترك ابنه عبد الملك رهينة عند الخليفة عبد الرحمن الناصر، ولما توفي موسي بن محمد ولى الخليفة عبد الرحمن الناصر على وشقة

(٦٢) ابن حيان: المقتبس، ج٥، ص ٤٣٧؛ العذري: نصوص عن الأندلس، ص ٧١.

ابنه عبد الملك الذي كان رهينة عنده وأشرك معه في حكمها يحيي بن لب بن محمد بن عبد الملك سنة (٣٤٦هـ/٩٥٧م)، ثم أفرد عبد الملك بوشقة سنة (٣٤٨هـ/٩٥٩)[٦٣].

اتخذ الخليفة عبد الرحمن الناصر رهينة من موسي بن محمد الطويل وذلك حتى يضمن عدم خروجه على الطاعة وخاصة أن مدينة وشقة بعيد جداً عن قرطبة حاضرة الخلافة وقريبة من الممالك النصرانية، لذلك سار موسي على الطاعة وقام الخليفة عبد الرحمن الناصر بتولية ابنه بعده على وشقة.

وقد استطاع الخليفة عبد الرحمن الناصر السيطرة تماماً على الأندلس ونجح في القضاء على جميع الحركات الانفصالية، ووحد الأراضي الأندلسية وجعلها تحت سيطرته وبلغت الخلافة الأموية ذروة نفوذها السياسي والحضاري طوال عهد الخليفة عبد الرحمن الناصر وابنه الحكم المستنصر، ثم في عهد المنصور بن أبي عامر وابنه عبد الملك وأصبحت الأندلس في عصر الخلافة دولة واحدة تسيطر على كافة أراضيها حكومة واحدة.

لذلك انعدم وجود رهائن للصراعات الداخلية بعد وفاة الخليفة عبد الرحمن الناصر.

رهائن الصراعات الداخلية في نهاية عصر الخلافة:

خلف عبد الملك بن المنصور بن أبي عامر في حكم الأندلس وحجابه هشام المؤيد أخوه عبد الرحمن بن المنصور الملقب بشنجول [٦٤]، سنة (٣٩٩هـ/ ١٠٠٩م). حيث طلب من الخليفة

(٦٣) ابن حيان: المقتبس، ج٥، ص ٤٥٣؛ العذرى: نصوص عن الأندلس، ص ٧٢.

(٦٤) شـنجول: هو عبد الرحمن بن المنصـور بن أبي عامر، كنيته أبو المطرّف، تولي الحكم وعمره (٢٥ عاماً) وكان يلقب منذ حداثته " بشـنجول "، وذلك لأنه كان حفيداً لسـانشـو غرسـية ملك نافار، وكانت أمه الأميرة النافارية التي تزوجت المنصـور و اعتنقت الإسلام، وتسمت باسم "عبدة"، تولي حجابة هشام المؤيد سنة (٣٩٩ هـ/ ١٠٠٨م) وكان منغمساً في الشراب، وصفه ابن

هشام المؤيد أن يجعله ولياً لعهده ففعل وتلقب " بالمأمون" مما أثار أهل الأندلس ضده، وقاد الثورة ضده المهدي بن عبد الجبار (٦٥) وعمت الفوضى كافة أرجاء الأندلس وهو ما عرفته المصادر العربية بالفتنة البربرية (٦٦).

ويمكن تلخيص أطراف النزاع المشترك في هذه الفتنة كل من عبد الرحمن (شنجول)، ومحمد بن عبد الجبار الملقب بالمهدى، وهشام بن سليمان المستعين على اعتبار أنهما أحق بالخلافة لأنهما من أفراد البيت الأموي(٦٧)، وفي سنة (٤٠٧هـ/١٠١٦م) دخل على بن حمود الحسيني(٦٨) قرطبة فملكها وقتل المستعين، وبقي على بن حمود في الحكم حتى قتله الصقالبة في الحمام سنة (٤٠٨هـ/١٠١٨م)، فخلفه في الحكم أخوه القاسم بن حمود(٦٩)، وبقي فيها حتى ثار ضده البربر وخلعوه من منصبه وقدموا عليه ابن أخيه يحيي بن على بن حمود(٧٠)، عندئذ

سعيد بأنه كان نحسا على نفسه وعلي أهل الأندلس، وفي عهده بدأت الفتنة العظمى، حيث طلب من هشام المؤيد أن يجعله ولياً لعهده ففعل وتلقب " بالمأمون" مما أثار أهل الأندلس ضده، وقاد الثورة ضده المهدي بن عبد الجبار، وتم قتله سنة (٣٩٩هـ/ ٣ مارس ١٠٠٩م). ابن سعيد: المغرب، ص٢١٣؛ ابن الأبار: الحلة السيراء، ج، ص ٢٧٠؛ عبد الله عنان: دولة الإسلام، ج٢، ص ٦٢٣- ٦٣٧.

(٦٥) المهدي بن عبد الجبار: هو محمد بن هشام بن عبد الجبار بن عبد الرحمن الناصر، لقبه المهدى، كنيته أبو الوليد، يعتبر باب الفتنه وسبب الشقاق، ولى الخلافة مرتين يوم خلع هشام من الحكم سنة (٣٩٩هـ/١٠٠٨م)، وكانت مدة ولايته بقرطبة تسعة أشهر، أما الثانية بعد سليمان بن المستعين سنة (٤٠٠هـ/ ١٠٠٩م) لمدة (٤٩) يوما. الحميدى: جذوة المقتبس، ص١٨، ١٩؛ ابن عذارى: البيان المغرب، ج٤، ص ٥٠؛ المقري: نفح الطيب، ج١، ص٤٢٦.

(٦٦) ابن الكردبوس: تاريخ الأندلس، ص٦٧، ٦٨؛ ابن عذارى: البيان المغرب، ج٣، ص ٧٢، ٧٣؛ ابن الخطيب: أعمال الأعلام، ص ٩١- ٩٧.

(٦٧) المقري: نفح الطيب، ج١، ص ٤٠٩-٤٢١؛ ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ص ٩٠- ١٤٢.

(٦٨) على بن حمود: هو على بن حمود بن ميمون بن أحمد الادريسي الحسني العلوى، من سلالة الأدارسة، أول ملوك الدولة الحسنية الحمودية بقرطبة، لقبه الناصر كنيته أبوالحسن، بويع له بالخلافة في قرطبة سنة (٤٠٧هـ/١٠١٦م)، وقتل في ذي القعدة سنة (٤٠٨ هـ/ ١٠١٨م)، وكان سنه وقت مقتله خمس وخمسون سنة، ولم يمكث في الخلافة سوي عام وتسعة أشهر. قتله الصقالبة وقدموا عبد الرحمن بن محمد بن عبد الملك بن عبد الرحمن الناصر. ابن عذارى: البيان المغرب، ج٣، ص١١٩، ١٢٠؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج٨، ص ٩٧- ٩٩؛ عبد الله عنان: دولة الإسلام، ٦٦٠، ٦٦١.

(٦٩) القاسم بن حمود: لقبه المأمون، كنيته أبو محمد ولى الخلافة وعمره سبعون عاماً، وهو ثاني ملوك الدولة الحمودية بقرطبة.وتولي الخلافة مرتين الأولي سنة (٤١٢هـ/ ١٠٢١م) وأستمرت ثلاث سنين وخمسة أشهر والثانية استمرت سبعة أشهر، توفي محبوساً عند أخيه إدريس بن على سنة (٤٢٧هـ/ ١٠٣٥م). ابن عذارى: البيان المغرب، ج٣، ص١٢٤؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج٨، ص ١٠٠؛ عبد الله عنان: دولة الإسلام، ٦٦٢.

(٧٠) يحيي بن على بن حمود: اختلف في كنيته فقيل أبو إسحاق، وقيل أبو محمد، وأمه لبونة، بنت محمد، بن الحسن، بن القاسم المعروف بقنون، بن إبراهيم، تسمي يحيي بالخلافة بقرطبة سنة (٤١٣هـ/ ١٠٢٢م)، ثم هرب عنها إلى مالقة سنة (٤١٤هـ/ ١٠٢٣م) ثم سعي قوم من المفسدين في رد دعوته إلى قرطبة في سنة (٤١٦هـ/١٠٢٥م)، فتم لهم ذلك، إلا أنه تأخر عن دخولها باختياره، واستخلف عليها عبد الرحمن بن عطاف اليفرني، فبقي الأمر كذلك إلى سنة (٤١٧هـ/١٠٢٦م)، ثم قطعت دعوته عن

فر القاسم من قرطبة إلى اشبيلية وذلك سنة (٤١٢هـ/١٠٢١م)، وأعلن فيها انفصاله عن قرطبة ودعا لنفسه بالخلافةِ وتسمي بأمير المؤمنين، وبذلك أصبح في الأندلس خليفتان، وقد علق ابن عذاري على ذلك بقوله " خليفتان وهو أمر لم يسمع بأذل منه ولا أدل على إدبار الأمور: يحيي بن على بن حمود بقرطبة والقاسم بن حمود بإشبيلية"(٧١)

أما أهل إشبيلية وقاضيها إسماعيل بن عباد(٧٢)، فقد بايعوا القاسم بن حمود(٧٣) الذي أقام في إشبيلية سنة واحدة، وقام بمحاولة العودة إلى قرطبة مستغلاً غياب يحيي بن على بن حمود في مالقة، فخرج على رأس جيش من البربر متجهاً إلى قرطبة واستولى عليها سنة (٤١٣هـ/١٠٢٢م) وبقي فيها لمدة سبعة أشهر، وعين ابنيه محمد والحسن لينوبا عنه في إدارة شئون إشبيلية(٧٤)، ولكن أهل قرطبة لم يطيقوا صبراً فثاروا ضده بسبب سياسته وطردوه، فأتجه منهزماً إلى إشبيلية التي أغلقت أبوابها في وجهه وطردوا الحامية البربرية الموجودة في إشبيلية وأخرجوا ابنيه محمد والحسن، وسار يحيي في أثر عمه القاسم، وما زال به حتى هزمه وقبض عليه ثم قتله في سجنه، واستولى يحيي على سائر ما كان بيده من البلاد والثغور، وانفرد برياسة البربر في الأندلس، ثم عاد فدخل قرطبة مرة أخرى على أثر خلع المستكفي في سنة

قرطبة، وبقي يتردد عليها بالعساكر إلى أن اتفقت على طاعته جماعة البربر، وسلموا إليه الحصون والقلاع والمدن، وعظم أمره، فصار بقرمونة محاصراً لإشبيلية طامعاً في أخذها، فخرج يوماً وهو سكران إلى خيل ظهرت من إشبيلية بقرب قرمونة، فلقيها وقد كمنوا له وتم قتله وذلك يوم الأحد لسبع خلون من المحرم سنة (٤٢٧هـ/ ١٠٣٥م). الحميدى: جذوة المقتبس، ص٢٤، ٢٥؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج٨، ص ١٠١؛ ابن خلدون: تاريخه، ج٤، ص ١٩٥، ١٩٦.

(٧١) ابن عذارى: البيان المغرب، ج٣، ص ١٣٣.

(٧٢) إسماعيل بن عباد: أحد نبهاء أسرة بني عباد المنتمين إلى قبيلة لخم، وجدهم هو عطاف هو الداخل إلى الأندلس في طالعة بلج بن بشر القشيرى، ونزلوا في إشبيلية وأصبحوا من أصحاب الوجاهة والنباهة،ومؤسس هذه الأسرة إسماعيل بن عباد الذي عينه الحاجب المنصور على خطة قضاء إشبيلية، وكني بأبو الوليد وكان مهتما بالعلم والأدب، تميز ببعد البصر والدهاء البالغ والحنكة ورجاحة العقل، عهد بأمور القضاء لابنه أبي القاسم وذلك لوهن أصاب عينه وتوفي باشبيلية ودفن يوم الأحد لخمس خلون من ربيع الآخر سنة (٤١٤هـ/ ١٠٢٣م) وله خمسة وستون عاماً. ابن بشكوال: الصلة، ج١، ص ١٠٢؛ ابن عذارى: البيان المغرب، ج٣، ص١٩٣، ١٩٤؛ ابن الخطيب: أعمال الإعلام، ص ١٥٣؛ عبد الله عنان: دولة الإسلام؛ ج٣، ص٣١ ـ ٣٤.

(٧٣) المقري: نفح الطيب، ج١، ص٤١٣.

(٧٤) ابن عذارى: البيان المغرب، ج٣، ص ١٣٣- ١٣٥؛ ابن الخطيب: أعمال الأعلام، ص ١٤٠- ١٤٢.

(٤١٦هـ/١٠٢٥م)، ولكنه غادرها بعد ذلك إلى مالقة التي غدت من ذلك الحين معقله وعاصمة ملكه، في أوائل سنة (٤١٧هـ/١٠٢٦م)، وتلاحقت الأحداث بسرعة فأصبحت قرطبة غير مؤهلة لإدارة أمور البلاد، فأجتمع أهل قرطبة وشيوخها وأصدروا مرسوماً يقضي بزوال الخلافة نهائياً وذلك في (١٣ذي القعدة سنة٤٢٢هـ/٣٠ نوفمبر١٠٣١م) ونودي في الأسواق والأرباض ألا يبقي أحد من بني أمية ولا يكفيهم أحد(٧٥)، وكان ذلك على يد الوزير أبو الحزم بن جهور(٧٦).

وفي النهاية أدي ضعف السلطة المركزية في الأندلس وتلاشي مؤسسة الخلافة إلى تفرق البلاد إلى دويلات عديدة عرفت باسم دول الطوائف (٧٧).

(٧٥) ابن عذارى: البيان المغرب، ج٣، ص ١٣٣؛ ابن الخطيب: أعمال الأعلام، ص؛ عبد الله عنان: دولة الإسلام، ج٢، ص ٦٦٣، ٦٦٤.

(٧٦) أبو الحزم بن جهور: هو جهور بن محمد بن جهوربن عبيد الله بن محمد بن الغمر بن يحيي بن عبد الغافر ابن ابي عبدة، كان موصوفا بالدهاء، وهو من كبار وزراء المنصور بن ابي عامر ثم غلب بعد قيام الفتنة بالاندلس على قرطبة فصار رئيسها ومدبر أمرها، إلى ان مات سنة (٤٣٥هـ/ ١٠٤٣م) وتولي ولده مكانه. ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج٨، ص ١٠٧؛ ابن الأبار: الحلة السيراء، ج٢، ص ٣٠، ٣٣؛ ابن سعيد: المغرب، ج١، ص ٥٦.

(٧٧) بلغ عدد هذه الدول أكثر من ثلاث وعشرين دولة، ولها ثلاث اتجاهات عصبية وهي البربر في الجزء الجنوبى، والصقالبة في الجزء الشرقى، أما باقي الأندلس فكانت تحت حكم العرب، ومن أهم هذه الدويلات دويلة بني جهور في قرطبة (٤٢٢-٤٦٠هـ/ ١٠٣٠- ١٠٦٨م)، دويلة بني ذي النون في طليطلة (٤٢٧-٤٨٧هـ/١٠٣٥-١٠٧٥)، دويلة بني عباد في إشبيلية (٤١٤-٤٨٤هـ/١٠٢٣-١٠٩١م)، دويلة بني الأفطس في بطليوس (٤١٣- ٤٨٧هـ/ ١٠٢٢-١٠٩٤م) دويلة بني زيري في غرناطة (٤٠٣-٤٨٣هـ/ ١٠١٢-١٠٩٠م) ودويلة بني هود في سرقسطة (٤١٠-٥٣٦هـ/ ١٠١٩-١١٤١م) بالإضافة إلي هذه الدول الرئيسية فقد كان الديد من المدن والأقاليم التي أعلنت إستقلالها وهي: دولة بني برزال في قرمونة (٤٠٤- ٤٥٩هـ/ ١٠١٣-١٠٦٧م)، دولي بني البكري في جزيرة شلطيش(٤٠٣- ٤٤٣هـ/ ١٠٢٦-١٠٥١م)، دولة بني خرزون في أركش (٤٠٢-٤٦١هـ/ ١٠١١-١٠٦٨م). لمزيد من التفاصيل ينظر: عبد الله عنان: دولة الإسلام، ج٣؛ ص ٤٦٠- ٤٦٤؛ أحمد مختار العبادى: دراسات في تاريخ المغر والأندلس، ص٨٩- ٩٦؛ السامرائي وآخرون: تاريخ العرب، ص ٢٢٩- ٢٥٠.

القاضي أبو القاسم (٧٨) محمد بن إسماعيل يرهن ابنه عباد للخليفة يحيي بن على بن حمود:

شهدت اشبيلية حالة من الفوضى والصراعات السياسية طوال فترة استمرت عشرين عاما (٤٠٠-٤٢٠هـ/١٠٠٩-١٠٢٨م) كانت خلالها الخلافة الأموية تحتضر، حيث فقدت قرطبة خلالها سيطرتها على اشبيلية، وأدرك القاضي أبو القاسم محمد (٤١٤-٤٣٣هـ/ ١٠٢٤-١٠٤٢م) مغبة نزول يحيي بجواره متحالفاً مع الحاجب البرزالي، فخشي منهما على استقلال مدينته، ولقد حدث ما خشي منه القاضي، فضرب يحيي الحصار حول مدينة إشبيلية، ولم يكن أمام القاضي سوي مساومة يحيي إذ لم تكن لديه القدرة على مواجهته، فاتفق رأيه ورأي أهل المدينة على أن يعترفوا بخلافة يحيي وبسلطته الاسمية شريطة عدم دخول البربر إلى المدينة، وقنع يحيي بذلك غير أنه اشترط أن يعطوه رهائن من أبنائهم ضماناً لوفائهم بالشروط " فضن كل بولده، وبادر القاضي فراهنه ابنه عباداً فأنفرد بالتدبير واستولى على الأمور، واستظهر بذلك بهدم البيوتات، وتشتيت ذوي الهيئات"(٧٩).

وهكذا لم يتردد القاضي بالمغامرة بابنه، وأثبت أنه خير من يعرف من أين تؤكل الكتف، وأن الخليفة يحيي قنع بهذا ورضي به فهو رهن عظيم، وكان من الطبيعي أن يعظم قدر القاضي في نفوس أهل المدينة، وبذلك يكون القاضي أبو القاسم اتخذ أول الخطوات لاستقلال مدينة اشبيلية وتحقيق سيطرته عليها من خلال رهن ابنه.

(٧٨) القاضي أبو القاسم محمد: عرف بذكائه ودهائه، تميز بالعلم والحكمة وبعد النظر والقدرة الفائقة على تدبير الأمور مما مكنه من السيطرة على إشبيلية والإنفراد بها،مؤسس دولة بني عباد الحقيقي، ومنشىء ملكهم ورسوم مملكتهم، وعلي يده اتخذ سلطان بني عباد ألوانه الملوكية المدعمة بالقوي العسكرية و توفي سنة (٤٣٣هـ/ ١٠٤١م) ودفن بقصر إشبيلية. ابن بشكوال: الصلة، ج٢، ص ٥٢٣؛ ابن عذارى: البيان المغرب، ج٣، ص١٩٤، ١٩٥؛ عبد الله عنان: دولة الإسلام، ج٣، ص ٣٩.

(٧٩) ابن بسام: الذخيرة، ق٢، م١، ص ١٩؛ ابن عذارى: البيان المغرب، ج٣، ص ١٩٦.